« يا عبدالرحمن ..
يا عبد الرحمن ..
اصمت لا تزرع في قلبي خنجر
فكلامك عن حرب التحرير
اشجاني
اخزاني

يا عبد الرحمن
انتم ناضلتم
انتم قاتلتم
انتم قدمتم مليون ضحية
أما نحن فما زلنا نحكي عن أيام الاحزان
وعن الايام اللائي لم تأت بعد

يا عبد الرحمن
ذكرني بالايام اللائي لم تأت بعد
اهدر
اهدر »

هل وفق الشاعر الفلسطيني ، ان يقول حكمته في هذه الاستجابة الجماهيرية السهلة . لقد وفق بحق الى «جماهيرية» سديدة ، ولكنها غير شعرية، فاللغة في القصيدة السابقة ، والمضمون ، جاءا كما اراد لهما الاستاذ علوش ، بسمة جماهيرية ، واضحة . ولكن هل هذا يكفي لجعل لغة محترمة، وحسنة النية ، شعرا ؟

لا نريد ان ندخل بقصد في أزمة العلاقة بين الشعر والجمهور ، وهي أزمة متوفرة بعنف ، فمهما كان الامر متعلقا بأحد الطرفين (طرف الشاعر الذي يرى ان الجمهور ما زال محكوما بالجهل والامية أو طرف — الجماهير — الذي يرى ان الشاعر يجب ان لا يحترم كبرياء لغته ورؤياه اكثر من احترامه لحياة الجمهور ومصيره) فان مجموعة الاستاذ ناجي علوش ستخرج خاسرة دون شك . ان الاحزان التي في « النوافذ التي تفتحها القنابل » ، والامل الكبير في المستقبل والاحساس بقيمة الشهادة ، والحرية ، والثورة ، والجماهير، كلها تبقى ذات قيمة انسانية يملك الاستاذ علوش ان يوافيها حقها في ضروب اخرى من سبل المعرفة لا تقل قدرا — في المواساة والتحريض — عن الشعر .

خالد ابو خالد يقف الى جانب ناجي علوش ، ولكن طاقة من الطموح ، تنبض في أعماق الاول ، فتحمله الى توتر ، لا يطيقه الشعر . توتر ، واضطراب، ينعكس بوضوح على لغته . فيتبعها : بأحاسيسه المطاطة السهلة تارة ، وباختلاجته المسرعة تارة اخرى . وهو في الحالتين ، تواق الى ان يقول كل شيء مرة واحدة .

« سنحكي يا نداء فجيعة الانسان في ارض الملايين
المصفدة الزنود الى الفراع
بموسى الكلمات »

ولكنه بالتأكيد سيقع بمأزق « اللغة » ، حين يواجه تجربة لاهثة مسرعة :

« ترى تحيطني يداك
هل يفرخ العصفور في فمي غناءه القديم
يا يمامتي
وهل يبرعم الشباب في المدى المليء بالندى الناري
والصخور اغنيات . »

لقد أصبح فرح الشاعر حين دخل اللغة : «عصفورا يفرخ في الفم الغناء » و« الشباب يبرعم اغنيات » في « الندى الناري !! » و« الصخور » ، ان هذه البعثرة التي توهم بالعمق ، ما هي الا توق للعمق ، لم يجد الشاعر سبيله اليه . يتضح ذلك ايضا ، في طريقة تضمين الشاعر للامثال والاغاني الشعبية الفلسطينية ، فانها كثيرا ما تجيء طارئة ودخيله .

أحببت في مجموعة الشاعر خالد ابو خالد قصيدتين توفر فيهما قدر من الشعر ، الاولى : « بطاقات للعيد » باستثناء المقطع الثاني الذي كتب عن جيفارا . والثانية ، قصيدة « نيسان سمفونية »، التي يذهب فيهما مذهب الشاعر صلاح عبدالصبور، حزينا ، دافئا ، منفصلا بعض الشيء عن توتره الحاد المضني .

الشاعران الاخران ، عزالدين المناصره في « الخروج من البحر الميت » ومحمد القيسي في « خماسية الموت والحياة » ، توفرت لديهما التجربة الفنية والشعرية بوضوح اكثر وبقدرة أعمق من صاحبيهما . انهما يحملان معا تجربة الغربة ، وما يتلبس فيها من خوف وحزن وتشتت ، وهما معا ، شاعران فلسطينيان . وضعا « الارض » داخل رؤياهما كما وضعها الاولان . ولكنهما — حين عانى الاولان هم الانتصار — واجها هم الخيبة. وهو اختلاف في الرؤيا فرضته طبيعة الممارسة لكل منهم .